

محمد نورالدين
خطاب الطلاب كلية الطب في حفل التخرج
٤ حزيران ٢٠٢١

الرئيس خوري، أعضاء هيئة التعليم الموقرة، الأهل والأصدقاء

لقد انتظرت هذا اليوم، منذ مغادرتي مصر متجهاً إلى بيروت قبل خمس سنوات. تجمُّعنا هنا اليوم وجهاً لوجه، على الرغم من أن والدينا وأحبائنا يحضرون احتفالنا عن بُعد، وأعرف أنهم يشعرون بالإثارة ذاتها كما لو أنهم كانوا موجودين شخصياً، يشير إلى أننا نعود خطوة بخطوة إلى الحياة الطبيعية بعد جائحة كوفيد-١٩. إن الخروج من كل كابوس افتراضي إلى واقع مليء بالأمل لم يكن ممكناً لولا مرونة وصبر الجميع، وجهود المهنيين الطبيين في كل مكان والباحثين الذين طوّروا اللقاحات في فترة قصيرة من الزمن. لقد رفَعوا جميعاً مستوى الابتكار البحثي عالياً، وهم يلهموننا جميعاً، كعلماء دراسات عليا في كلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت. إن الحصول على شهادة الدراسات العليا، وخاصة الدكتوراه، هي رحلة طويلة تتطلب العمل الشاق والتفاني والمثابرة ولكنها مليئة بالفرح والعمل الجماعي والطموح. وفي يوم تخرّجك، تنظر إلى الوراء وترى أنك حققت الخطوة الأولى نحو مغامرة ستمضي العمر لإنجازها وقد لا يكون ذلك كافياً.

عندما جنّت إلى لبنان قبل خمس سنوات، كان هدفي الوحيد هو الحصول على درجة الدكتوراه من أفضل معهد تعليمي وبحثي في الشرق الأوسط والعودة إلى مصر، موطني الأصلي، للحصول على وظيفة أكاديمية. بدلاً من ذلك، هذه السنوات الخمس غيرتني تماماً وقلبت حياتي. لقد تعلّمت أن الدكتوراه لا تتعلق فقط بالحصول على التعليم العلمي وشهادة، بل هي أيضاً تجربة لبناء الشخصية تعدّك لتكون باحثاً ومدير مشروع ومرشداً للأجيال القادمة. كنت محظوظاً جداً بالانضمام إلى برنامج الجامعة الأميركية في بيروت للدكتوراه في العلوم الطبية الحيوية الذي وقر لي أفضل تجربة من خلال:

- دفعي طوال الوقت لأكون أفضل ما يمكن
 - جعلني أوّماً بإمكانياتي ومنحي كل التسهيلات للكشف عنها
 - دعمي في كل خطوة على طول الطريق؛ وعلى المستوى الأكاديمي الشخصي أيضاً
 - توفير كل فرصة لي للتعلم بهدف النهوض بمسيرتي
- برنامج الدكتوراه في كلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت شامل للغاية وسمح لي بالتناوب في مختبرات مختلفة قبل أن أبدأ مشروع أطروحتي. هذه التناوبات مكنتني من تجربة مجالات متعدّدة، وتعلم الكثير عن منهجيات البحث المختلفة والتعرف على أعضاء هيئة التعليم المدهشين في كلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت. إلى جانب ذلك، مكّنتني منهج البرنامج من تطوير معرفة خلفية قوية حول مواضيع البحث العلمي المختلفة، مما سمح لي ببدء رحلة في أحد مختبرات كلية الطب. وعبر ذلك كله، أستطيع أن أذكر أمثلة لا تحصى على كيفية مساعدة الجامعة لي. لا أستطيع أن أذكر كل الذين ساعدوني ولكن من الأهمية بمكان أن أقول أنه خلال سنوات الدكتوراه، بمساعدة مستشاري وأساتذتي في كلية الطب: لقد نشرنا العديد من المقالات العلمية وفوق ذلك قدّمت لي الجامعة الفرصة لتقديم عملي في المؤتمرات الدولية.

قبل الانتهاء من شهادتي، تلقيت عرضاً للحصول على زمالة ما بعد الدكتوراه التي أتابعها حالياً في كلية الطب في جامعة ميشيغان آن أربور. مؤسسة زارها وفد من الجامعة برئاسة الرئيس خوري ووقع معها مذكرة تفاهم لفتح آفاق جديدة للتعاون وربما كنت واحداً من أولى النتائج التي تم التوصل إليها.

إن الدعم والتوجيه اللذين تلقيتهما في الجامعة الأميركية في بيروت كانا استثنائيين بدءاً بالإدارة العليا للبرنامج التي يمثلها الدكتور أياد يافا الذي جعل الأمور تسير بسلاسة على المستوى الإداري. كما أنني شاكرٌ جداً للدكتور نادين درويش، وهي واحدة من أوائل أعضاء هيئة التعليم الذين تواصلت معهم في كلية الطب وقد قدمت لي الدعم والمشورة بلا كلل جنباً إلى جنب مع مكتب الدكتوراه. كنت محظوظاً جداً لمتابعة تدريبي للدكتوراه في مختبر الدكتور أسعد عيد، أحد أشهر مختبرات السكري في المنطقة. الدكتور عيد هو المستشار والموجه المثالي الذي يتمناه أي شخص. روح الفريق في مختبره لا مثيل لها. كنا أكثر من عائلة، وتعلمت أن هذه الروح العائلية هي ما يعزّز البحث والإبداع والحنان.

التعاون المختبري الذي تشجعه الجامعة الأميركية في بيروت سمح لي بتجربة تقنيات مختلفة واكتساب المعرفة التي لم تكن ممكنة لو اقتصر نشاطي على مختبر واحد فقط. تعاوناً مع الدكتور سامي عازار في مركزنا الطبي حول ترجمة الملاحظات الطبية الأساسية إلى عمل سريري. بالإضافة إلى ذلك، تعاوناً مع العديد من المختبرات الأخرى في كليات مختلفة (الهندسة والزراعة وعلوم الأغذية) ودوائر بما في ذلك دوائر الكيمياء الحيوية والبيولوجيا الجزيئية وعلم الأحياء المجهرية وعلم المناعة. أذكر كل ذلك لأنه أتاحت لي الفرصة للنظر إلى مرض معين من وجهات نظر مختلفة. في رأيي، هذا هو واحد من أعظم نقاط القوة في برنامج الدكتوراه الطبية الحيوية في الجامعة الأميركية في بيروت.

وأنا لا أنسى أن أذكر كيف قوّلت هذه السنوات شخصيتي وعلمتني كيفية إدارة وقتي وتطوير مهارات الإرشاد والعمل في فريق. البيئة التي توقّرها الجامعة لا مثيل لها. لقد بنيت العديد من الصداقات التي ستستمر مدى الحياة، وأصبح لبنان حقاً بيتي الثاني مع مكان فريد في قلبي.

هنا يتوجّب التنويه الخاص بالطلاب الدوليين في كل مكان والذين يواجهون تحدياً إضافياً يتمثل في ابتعادهم عن أسرهم وبيئاتهم المريحة، ولكن يمكنني أن أقول لكم إن هذا هو المكان المناسب. أيضاً، شكراً جزيلاً لوالدي في مصر وجميع الأهل الذين يراقبوننا اليوم. هذا ابنكم، يخبركم أن كل جهودكم وتضحياتكم قد آتت ثمارها.